التشكيلي العالمي ابراهيم الصلحي في حوار مع ألوان

يعتبر إبراهيم الصلحي من أعمدة الفن التشكيلي العربي الأفريقي الحديث في العالم, و تحتفي اشهر متاحف الفنون العالمية بلوحاته التى زاوجت ما بين التراث والمعاصرة.
كان ميلاده في شهر سبتمبر/أيلول من عام 1930 بمدينة أم درمان, حيث أكمل مراحل تعليمه الأساسية كلها بمدارس السودان بدءا من الخلوة، حتى كلية غردون التذكارية ومعهد الخرطوم الفني، لتستمر رحلة حياته وإبداعه بين عدة عواصم عربية ليستقربه المقام في عاصمة الضباب. إحتشدت حياته بتجارب عديدة ساقته عام 1975 حين كان يعمل وكيلا لوزارة الثقافة والإعلام لسجن كوبر إثر إنقلاب حسن حسين والذي أمضي فيه (ستة أشهر وثمانية أيام حسوما) حسب قوله .. وكان لهذه التجربة أثر كبير في حياته .. إلتقيته في حوار شمل العديد من المحاور مابين لندن والخرطوم .

(*)تري لماذا كان إختيارك الهجرة إلي لندن وانت من مدرسة الخرطوم ؟
تسألني ببساطة لماذا اخترت لندن، وأنا من مدرسة الخرطوم؟!!، هذا يا صاحبي سؤال مركب، ليتني استطيع الاجابة عليه بسهولة وقد أثار في نفسي كوامن شجن بمسدار قديم يقول مطلعه:»الليلة

الصعيد جاب الهبوب مقلوبة، طرّاني الأهل والجلسة في الراكوبة» ويا حليل أيام زمان، لكن ما باليد حيلة، وقد تغيّر المكان والحال والزمان، وأتت الرياح بما لا تشتهي السفن.

أتدري اني كنت قد قرّرت عقب خروجي من مجلس كوبر ان لا اغادر السودان مهما حدث لي فيه، ولا يخفي عليك ان العمل التشكيلي لا سوق ولا رواج له حينئذاك في السودان، ولعله كذلك حتى حينه، فسعيت بطبيعة الحال لايجاد وسيلة اتدبّر بها أسباب معيشتي في البلاد، فقمت بتأسيس شركة تجارية محدودة، ولم يكن لي أدنى سابق معرفة بالعمل التجاري أو خبرة عملية باساليب التعامل في السوق، الظاهر منها والخفي، فنصحني صديق بقوله لي»يازول حاسب، ومالك ومال المرمطة دي، تماسيح السوق بتبلعك، وما بتدّيك فرقة» . وفعلاً وجدت في محك العمل نمور شجر ضارية، همها التهام لقمة العطاء المطروح قبل أن يعلن عنه، فنفضت يدي وطرفي حتى لا أجد نفسي في جوف تمساح لا يشبع من جوع دائم، وغادرت البلاد هرولة فور استلامي لدعوة كريمة وصلتني من الخارج، وكان للظروف كما تعلم احكامها.

ومن ناحية أخرى فإن الأرض كلها، وبما رحبت فهي أرض الله، واسعة،

وأن علينا أن نسعى في مناكبها، ولهذا فلا أرى فرقاً بين مكان وآخر إلا بقدر ما يوفه هذا المكان أو ذاك للفرد منا، من امكانات وبراحات انسانية، وحقوق مصونة لا يعتدى عليها، وحريّة في التحرك والتعبير، والأمر في هذا كله متروك لاقرار الفرد، وفق اختياره وحسب مدى طاقاته واهدافه في الحياة، وكلنا يعلم أن الذاكرة البشرية تختزن في طيّات ذاتها تراثاً انسانياً زاخراً بصور الحياة، ولها بعون الله من القدرة ما يعينها على تفجير طاقات ذاك التراث، اينما سار به الانسان أو توجّه.

ومع ذلك فللوطن الأم، حيث رأي الواحد منا النور لأول مرة، وأنسي في ربوعه حنان وعطف الوالدين، وقرب رفاق الصبا والجيرة والأهل ، ودفيء العشيرة ، وطيب قيمها الموروثة، مذاق خاص لن ينسى طعمه، مذاق يثير في نفس المحب لواعج الشوق كلما مرّت بالخاطر نسمة من هبوب الصعيد، وبالعين دمعة تترقرق.

(*) في مدرسة الخرطوم عملتم علي المحلية كيف تعيد قراءتها ورسمها في زمن العولمة ؟

المحلية في نظري هي ما تتميز به فئة ما عن غيرها من الناس، بما لها من قيم وخبرات انسانية معينة، كما أن استقراء التراث ما هو إلا بحث فاحص بنظرة ثاقبة يرمي إلى

استقصاء القيم والخبرات الانسانية المتراكمة عبر الزمن، ويهدف اساساً إلى استنباط الجديد الذي هو من قديمها، بحيث يواكب الحاضر، ويفي بالحاجة الراهنة.

ولهذا فاني لا اعتقد أن الاهتمام بالمحلية أو الرجوع إليها كمسند عملي أو مرتكز ثقافي، أنه نكوص وردّة وتقوقع متحجّر في زمن العولمة، التي تعني بانفتاح العالم على بعضه بعضاً، علماً بأن المسألة كلها ما هي إلا مجال أخذ وعطاء، اثراءً لحصيلة البشية من العلم والمعرفة، دون تكرار مميت.

ولدينا بالسودان أمثلة حيّة لهذا المنحى، خذ مثلاً كاتبنا الكبيرالراحل الطيب صالح، إنه قد مزج بين العربية الفصحى والدارجة السودانية، مما اكسب كتاباته في رواياته العديدة روعة ونكهة منعشة، لم تقلل من شأنه ككاتب يشار اليه بالبنان، لا في العالم العبي فحسب، بل على نطاق العالم أجمع، وترجمت اعماله إلى العديد من اللغات العالمية.

وكاتب آخر على سبيل المثال لا الحصر، كإبراهيم اسحق، وكتابه «حدث في القرية» الذي اعتمد فيه اساساً على لهجة محلية بحتة من غرب السودان، ظهر من خلالها عظم فكره وخبرته كقاص مبدع.

وفي مجال الفنون التشكيلية هنالك الفنان الكبير الاستاذ/ أحمد محمد شبرين الذي يعود إليه الفضل

الأكبر في تغيير مفهوم الصورة البصرية في إطار مدرسة الخرطوم، في اوائل الستينات، حيث ركّز على الحرف العربي كخامة تشكيلية شيّد بها تقنياً صرحاً ابداعياً لا يضارع في مجال التعبي الحروفي، عرف باسمه في محك الفن العالمي.

دعني أقول بنهاية الحديث أن لا فرق في الاصل بين المحلية والعالمية في زمن العولمة، إذ كلاهما وجهان لعملة واحدة، اساسها وديدنها الفنان المبدع.

(*)ماذا تقول عن الجيل الذي جاء من بعدكم .. والموجودين حاليا في أوروبا .. هل من إضافة تراها ؟

ماذا يمكنني أن اقول سوى كان الله في عون الجيل الذي أتي من بعدنا من المؤمنين بقضية الفن، وبضرورة العمل على اثبات وجودهم كمبدعين بعيداً عن ارض الوطن، وهم بين نارين يكتوون بهما في آن واحد، غربة أولى وجدوها بالسودان، حيث لا مكان فيه لرسالة الفن في بناء وتطوير المجتمع ، وبين أخرى بعيداً عنه في جو بارد ورطب لا يرحم. وما لهم من مخرج إلا بالصبر إلا أن يأتي الفرج. لكن هنالك ميزة توفرها قوانين الدولة للمغترب المقيم باوروبا، وهي أنه لا يموت جوعاً، ولا يفتقد دواءً اذا مرض، ولا يعدم سقفاً فوق رأسه يأويه.

(*) كيف يرسم الأستاذ الصلحي

السودان الآن ؟
كنت أشير اليه فيما سبق بلون تراب الأرض ، وبلون المغر الأصفر والأحمر، ومنذ سنين مضت ، وإلى حينه، فقد ركّزت على فكرة شجرة الحرازة، التي يحكي أنها قد حاربت المطر، رمزاً منى لانسان تتمثل فيه قوة الشكيمة، والاصرار على الحياة رغم فظاعة الظروف وقسوة الطبيعة والجفاف والتصحر، واستخدم بدل الداكن من الوان التراب، ألواناً برّاقة تحاكي في رونقها نضارة نوّار البرم، وأزاهير اللوبيا على ضفاف نهر النيل، بشارة بروح الأمل.
(*) كيفق تقرأ أبعاد عدم حضور العمل التشكيلي في كتاباتنا السودانية ؟
لا ادري حقيقة ابعاد عدم حضور العمل التشكيلي في كتاباتنا السودانية، كما تقول.. والذي كنت اعلمه فيما سبق أن مفهوم النشر عندنا كان قاصراً على عمليات الضبط التحريري وتصحيح النص والاشراف على عمليات طباعته، ومن ثم التوزيع، وكثيرا ما كانت المطبوعة ، والادبية منها على وجه الخصوص، تصدر »يابسة كرو« خالية من أي اثر لامتدادات تشكيلية موازية وما بها من تصميم فني يذكر الا على واجهة الغلاف، إن وجد. فهل يرجع السبب في ذلك اساساً الى الناشر الذي يتحكم وحده في حجم

المطبوعة ، وفي عدد صفحاتها وما تحويه، وتقدير نفقات الانتاج، مع احتمال عدم ادراك منه لقيمة العمل الفني، أم ان مرد ذلك يرجع الى عزوف الفنان المصمم عن تبديد جهده هباءً منثوراً ، دون عائد مادي، كما كان ولازال الحال مستمراً، ام ان هنالك اسباباً أخرى؟!! لا ادري.

(*) الراحل الفنان عثمان وقيع الله زميل الشتات وكتابه الحرف العربي في التشكيل كيف تقرأ الذكريات والتجربة ؟

طيّب الله ثرى استاذي وصديقي الحميم/عثمان الخطاط المتميز كاتب القرآن. وفقده لا يعوّض. اسكنه الله فسيح جناته ، وجعل مقامه الفردوس الأعلى، فقد اثرى حياة العديدين منا، استاذاً معلماً، وزميلاً في العمل وفياً ، فتح بصائرنا على روعة الخط وسلامة الذوق. وجماليات الحرف العربي وجدوى توظيفها كعنصر اساسي في بناء العمل الفني، واليه يجع الفضل الأكبر في كثير مما توصّلت اليه الحركة التشكيلية في السودان منذ أواخر النصف الأول من القرن الماضي، وإلى حينه.

أملي أن تحظي اعماله يوماً قريباً بمتحف عام يفتتح باسمه في السودان ، حفاظاً منا جميعاً على تراث مجيد وثروة نادرة لا تقدر بثمن، لدرر ابدعها قلم عثمان الفنان واني لاغتنم هذه الفرصة مناشداً

وداعياً لوزارة الثقافة والقائمين على امرها بالسودان الى توفير ما يلزم عداً ونقداً لاقتناء كافة اعماله الفنية المنتجة، قياماً منهم بالدور الواجب عليهم نحو تحقيق هذا الحلم الكبير، فهل من مجيب؟!!

(*)ماذا حصدت من إغترابك ،وهل تفكر جادا في العودة ومتي ؟

حصدت من اغترابي بحمد الله وشكره على كثير لا يحصى: عافية في بدني، وراحة في بالي وتقديراً لعملي، ويقيناً ملتزماً بما امر به ربي. ومجتنباً لما حرّم ونهى عنه، واقوم بزيارة اهلي والاحباب كلما سنحت لي فرصة. وهنا في الغربة قرّة عيني: اولادي وبناتي واحفادي. ورغماً عن شوق متزايد في نفسي لا اعلم حتى اللحظة يوماً آمل ان تتحقق لي فيه العودة، والأمر بيد الله.

(*)أستاذ الصلحي الآن كيف تفكر وكيف تقيم يومك وماذا ترسم ؟

افكر بالتركيز على شيء واحد في آن واحد، واحيا يومي على قدر المستطاع بالتفكر في الماضي والحاضر، وارسم بعضاً مختاراً مما يمر بخاطري من رؤي واحلام ، وبعضاً آخر ارسمه عفوياً دون ارادة، يأتيني من مصدر لا ادري كنهه.

(*) ماذا تقول عن علاقة الفن التشكيلي بالتمرد الذي يلوح حتي في مظهر الفنان (الشعر والملابس) ؟

في اعتباري ان ترك العادة ومخالفة المعتاد دليل صحة وعافية ، وهو من حق الفرد على القطيع، علماً بأن المسألة كلها من تقليد واتباع فيما يتعلق بالوضع الشخصي ما هي الا مسألة مزاج، لا ضرر منه لآخر، أن كان باطلاق اللجنة او تربية الشعفة قجة أو تفّة أم حدثت صلعة، أو كان بزيّيخالف ما اعتاد عليه الآخر لبساً ما خرجت عن كونها من باب التميز والانعتاق البريء للخروج عن المألوف، مهما كانت الدواعي اليه. المهم في الأمر أنه مجرد مظهر خارجي، وشتان ما بين الظاهر والباطن، وعليه اقول خلوا الناس في حالها، وانشغلوا عنه بالناتج ، وفي الناتج خير.

شارك هذا الموضوع:

Tweet Facebook LinkedIn Tumb
Stumble Digg Delicious

مرتبط

سياحة في عالم التشكيلي د. إبراهيم العوام
16 أغسطس، 2015
في "ثقافة و منوعات"

اعتقالات وإعفاءات.. حالات مشابهة
11 أبريل، 2015
في "تقارير و تحقيقات"

(فاطمة أحمد إبراهيم)
19 مارس، 2016
في "ثقافة و منوعات"